العلاقة الفلسطينية ـ السوفياتية

أما عن العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية، ممثّلة بمنظمة التحرير، فيستهل الكاتبان هذا الموضوع بعرض تاريخي، لا يخلو من التفسير المشوّه للوقائع، شأنهما في كل فصول الكتاب. ونقرأ في هذا الفصل تفاصيل وتواريخ عديدة، وعرضاً لما زعما أنه موقف سلبي من منظمة التحرير قبل هزيمة حزيران (يونيو)، يتبعانه بعرض للعلاقات التي عقبت حرب حزيران (يونيو)، معتبرين أن التغيير الأساسي، في موقف الاتحاد السوفياتي من «الفصائل الفلسطينية» في عام ١٩٦٩، يعود إلى عدة عوامل: أهمها أن السوفيات بدأوا يرون في المقاومة الفلسطينية عاملاً مؤثراً، في أحداث وتطوّرات منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي وجدوا أن من مصلحتهم التقرُّب منها. ولهذا، طوّر السوفيات موقفهم، من فصائل المقاومة الفلسطينية، حتى يحولوا دون انتشار النفوذ الصيني بينها. ويرى المؤلّفان أن السوفيات تقرّبوا من «فتح» بالتحديد أثناء انفجار الأزمة اللبنانية، ذلك أنهم باتوا يعتقدون أن «فتح» تلعب دوراً خطيراً ورئيسياً في السياسة العربية، مما دفعهم إلى إقامة علاقات مباشرة مع الفصائل الفلسطينية، آملين ـ حسب زعم المؤلّفين ـ أن يستخدموا هذه الفصائل، وخاصة «فتح»، كأداة لتغيير الأنظمة المؤيدة للغرب كلبنان والاردن. إلا أن المؤلّفَين يزعمان أن الاتحاد السوفياتي ظل يمارس سياسة متقلّبة تجاه الفصائل الفلسطينية. فهو معها كلياً في الإعلام (!) لكنه لم يلتزم بأي التزام محدّد. ويعود المؤلّفان إلى القول: ان الإتحاد السوفياتي، على الرغم من انتقاده غير المعلن للفصائل الفلسطينية، واتهامه إياها بالميل نحو المغامرة واللامسؤولية فهو قد زوّدها بالاسلحة وتولى تدريب عناصرها، وأمدّها بالدعم السياسي، طمعاً في بسط نفوذه عليها.

ثم يعرض الكاتبان للعلاقات بين السوفيات والفصائل الفلسطينية، بعد حرب تشرين (أكتوبر)، حيث يشيران إلى الروابط الرسمية التي بدأت تنشأ بين منظمة التحرير والإتحاد السوفياتي، وبالتحديد بعد زيارة وفد منظمة التحرير برئاسة ياسر عرفات إلى الإتحاد السوفياتي، عام ١٩٧٤. ثم يتطرّقان بعدها إلى الحل الذي يطرحه الإتحاد السوفياتي للصراع العربي ـ الإسرائيلي. ويتّضح هذا الطرح المغرض في هذا الكتاب، أكثر ما يتّضح حين يتحدّث المؤلّفان عن محاولة الإتحاد السوفياتي القيام «بانقلاب» لمصلحته في منظمة التحرير. إذ يزعم المؤلّفان أن الإتحاد السوفياتي يتخوّف أن تتكرر تجربته مع مصر، وبالتالي فهو يعمل على دعم الفصائل الأكثر انسجاماً مع سياساته ومواقفه، وعلى الإعداد لقيادة بديلة للقيادة الحالية لمنظمة التحرير، فيما لو مالت هذه الأخيرة عن الإتحاد السوفياتي! ويُرجِع الكتاب إهتمام السوفيات بالمقاومة الفلسطينية، إلى اعتبارهم إياها مؤهّلة للعب دور تغييري حاسم في أكثر من دولة عربية، وخاصة الدول التي تتواجد فيها تجمعات فلسطينية كبيرة: الأردن، لبنان والكويت... وتتكرر هذه النظرة العوراء في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

العلاقة الفلسطينية ـ الأميركية

ويعرض الكتاب أيضاً لعلاقة منظمة التحرير بالولايات المتحدة، فيشير إلى حوار غير مباشر بينهما، مؤكّداً أن الولايات المتحدة، لم تكن تتخذ من المنظمات الفلسطينية، ومن العرب الفلسطينيين عموماً، موقفاً واضحاً. لكن النظرة الأميركية العامة، كانت نظرة «إنسانية» لا تخلو من شفقة على «اللاجئين».

ويرى المؤلّفان أن ثمة تطوّراً أولياً، ولو بسيطاً، قد طرأ على هذه النظرة خلال المحادثات السوفياتية ـ الأميركية التي تمّت في حزيران (يونيو) ١٩٧٣. ويزعمان أن الولايات المتحدة تشترط اعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، وقبولها بقراري مجلس الأمن: ٢٤٢ و٣٣٨. ولكنّهما يشيران إلى إلحاح الإدارة الاميركية على إيجاد حل لقضية الضفّة الغربية، ضمن تسوية شاملة. ويعرض الكتاب لمراحل الحوار غير المباشر، فيرى ان إدارة نيكسون تجنّبت مثل هذا الحوار، أما إدارة كارتر، التي عرضت حلاً شاملاً للصراع، فقد اضطرت إلى التعامل مع جميع الأطراف، وبالتالي إلى «جس نبض» منظمة التحرير في عدة قضايا، وذلك بطرق غير مباشرة. ويرى الكاتبان أن زيارة السادات لإسرائيل، كانت وراء التخلي الأميركي عن الموقف السوفياتي ـ الأميركي المشترك.